ثورة الخامس والعشرين من يناير

مواقف إيمانية

إعداد
محمود الدهشان

مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

مكتبة السنة بالقاهرة

رقم الإيداع	٢٠١١/٨٦٩٣
الترقيم الدولي	I.S.B.N. 978-977-285-163-2

الشركة الفنية للطباعة

٣٧٧٧١٠٣٩

مكتبة السنة

الدار السلفية لنشر العلم

٨١ ش البستان - ناصية ش الجمهورية - ميدان عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٠٠٣١٨ - فاكس: ٢٣٩١٣٥٣٢ - تلكس: ٢١٧١٩ TLTHRB
رمز بريدي: ١١٥١١ - القاهرة - جوال: ٠١٤٥٩٨٩١٢٧ - ٠١٠٦٧٥٦٧٣٩

ALSUNNA LIBRARY
Publishers

81 Al-Bostan St., Abdeen Square - Cairo - Egypt
Tel.: 23900318 - Fax: 23913532 Tlex : 21719 TLTHRB
P.O NO. :11511 Cairo Mob.: 0145989127 - 0106756739
E-mail : Al.sona@yahoo.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء : ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب : ٧٠، ٧١] .

أما بعدُ : فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن

الهدي هدي سيدنا محمد صلى اللَّه عليه وآله سلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد :

فهذه وقفات مع أحداث ثورة ٢٥ يناير ، والتي تعد من الأيام المشهودة ، والوقائع المعدودة ، وما يجوز أن تغفل عنها محاولات الفهم و عطاءات الفكر ، فعناية دراستها من التبصرة الواجبة في آيات اللَّه في كونه وأمور قدره .

وتأتي هذه الوقفات تكشف عن تأويل ما عاشته البلاد من أحداث الثورة ، وتبين عن حقيقة تقلبات الدهر ، وتغيرات الأحوال ، وتداول الممالك في ظلال وحي الإيمان وهداية القرآن ، حتى نرجع مظاهر قدرات التغيير إلى حقيقة مصدر تقديرها ، ونرد الأمر لمن له الأمر من وراء مظاهر الأسباب .

وتبغي هذه الوقفات أن تلهم بما يجب أن يكون من تغيير في التصور والإرادة والعمل بما يكافئ تغيير الثورة ، فهي في مصاف النعم التي تستوجب شكرا يوافي قدرها .

كما أنها تسلط أضواء الفكر على عظات لاحت في آفاق الأحداث ، ليعتبر بها أولو النهى ، حيث تمثلت جمل العبر واقعا متشخصا في مسرح الأيام ، فكان أثرها آخاذا في توجيه الضمائر وإصلاح القلوب .

كما تقدم إشارات إنارة وإضاءات توجيه في طريق معالم العمل الإسلامي ، بعدما وهبته الثورة من فتح أبواب تراوحت – قبل – بين إحكام الغلق أو قريب منه ، رجاء أن يغتنم العمل الإسلامي فرصته ، التي تيسر عطاؤها بثورة يناير ، فيسير قدما في خير الإسلام والمسلمين .

وهذه الصفحات محاولة قطف ثمار فوائد التبصر في أحداث الثورة ، دون استطردات لمناقشات في جوانب فكرية أو علمية ، لم تكن هدفا لهذا الكتاب ، فما رغبنا في إخراج كتاب مطول أو بحث متشعب ، وإنما أن نقدم الفوائد ناضجة ، والثمار يانعة ؛ رغبة أن تؤتي أثرها واضحا في طريق الهداية والبناء .

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود: ٨٨]

وأسال اللّٰه تعالى أن يعم بها النفع، وأن يجعلها في ميزان حسناتي يوم لقائه.

* * *

الفصل الأول
ثورة ٢٥ يناير التفسير الإيماني

أولًا : ضرورة هداية الإيمان في تفسير ضخامة الحدث :

تعد ثورة ٢٥ يناير حدثا تاريخيا ، ومنعطفا كبيرا في تاريخ مصر ، والأحداث الكبيرة في تاريخ الشعوب والدول أرضية خصبة لدراسات عميقة الفكر .

وما هو بكثير أن تستقل باهتمام مؤسسات علمية وأكاديمية ، وأن تؤمها مؤلفات متخصصة ، ويدور في فلكها جهود المفكرين على تباين التوجهات واختلاف الأيدلوجيات ، فهدف تحليل الحدث مهم ، وكذا تفهم كثرت أبعاده وتعدد زواياه ، وعظائم آثاره التي لا تقف عند مستوى تغيير سياسي ، بل جدير أن يبلغ التغيير إلى عمق الإنسان في تصوراته وإراداته وآفاق مستقبله .

والتصور الإسلامي مقدام في العناية بكبائر الأحداث ذات الأثر في حياة المسلمين ، فالإسلام يولي الفكر والعلم عنايته البالغة .

وكثيرا ما حذر القرآن الكريم من الغفلة عن أحداث الزمان، فهي مستودع العبر، ومحل اقتباس أنوار الهداية.

فدعا القرآن إلى التأثر بما كان من أحداث السالفين فضلا عما يلوح في محل الإنسان وحياته.

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [سورة الحج: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس: ١٠١].

فمنهج التفكر في ما يجري في الأرض هو سبيل عناية المؤمنين، ومسلك أولي الألباب، يتفكرون في أحداث الأيام، فما يكون من شيء في كون اللّه باطلا.

وإذا أحسن المسلم تعامله مع أقدار اللّه تعالى في أمور خلقه، وما يكون من شأنه كل يوم، فذاك جدير أن يتعالى بالمسلم في درجات تجديد حياته، وتصحيح أمور دينه ودنياه.

وكم من موقف عاد على الإنسان بتغيير كامل في شأنه، أو

انسحب على مجتمع بأسره .

وأحداث ثورة ٢٥ يناير من هذا الطراز الفريد الجديد بتغيير عميق في الإنسان والمجتمع ، لمن كان له قلب يعي أقدار ربه .

ولا ريب في أجواء ضخامة الحدث أن تتعدد التفسيرات وتتكاثر التحليلات ، ولو اتصل الفكر البشري بمعين العلم الحقيقي لكان خيرا وأقوم هداية .

تلك هداية الله سبحانه ، حيث البون بين من يعلم ومن لا يعلم ، قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة : ٢١٦] .

فالله وحده يعلم ، فعلمه شامل ما كان وما سيكون وما هو كائن ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وعلمه سبحانه ذاتي ، وعلمه تعالى أزلي .

والإنسان لا يعلم ، فعلمه قاصر ، وإدراكه محدود ، ومعارفه كسبية ، فكان الاقتباس من هداية الإيمان هو الهدى في تفسير ما يكون وما كان .

وكثيرا ما هبط الفكر البشري في بعده عن هداية الوحي ،

حتى ظهر تفسير دارون السفيه في رد خلق الإنسان المكرم إلى سلالة من القرود، وتفسير الدهريين للخلق بنسبة الخالقية للطبيعة الصماء أو الصدفة المجردة، مصادمة مع أدنى درجات العقلية البشرية.

فلا ينعم الإنسان بهداية في تفكير عقل، أو في اطمئنان قلب، أو صحة سلوك إلا في نور وحي الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء: ٩].

والمؤمن كما يكون مرجعه هداية القرآن والسنة في أحكام سلوكه، فكذلك في تصوراته وتفسيرات ما يكون من أحداث دهره.

كله يستمده من أصول دينه، فلا يجد بعد حرجا، وينعم دوما بانشراح صدره.

* * *

ثانيًا : بإرادة اللَّه تعالى تحققت الثورة :

أحداث ثورة ٢٥ يناير هي إرادة اللَّه تعالى ، وما شاء سبحانه كان وما لم يشأ لم يكن .

فهي أمره وحكمه ولا راد لأمره ولا معقب لحكمه .

فسبحانه صاحب الأمر في أحداث الثورة ، فكانت بقدرته ، وتمت بإرادته ، وتحققت بأمره ، فله الأمر من قبل ومن بعد .

فالمؤمن يوقن أن ما يتحقق من شيء إلا هو خلق ربه ، وما يكون من حدث إلا وهو أمر مولاه ، فله الخلق والأمر تبارك اللَّه رب العالمين .

قال تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [سورة القمر : ٤٩- ٥٠] .

قال الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره :

« وقوله : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ ، كقوله : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان : ٢] وكقوله : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى : ١- ٣] أي : قدر قدرا ، وهدى الخلائق إليه .

وقوله : ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ ، هو إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه ، كما أخبر بنفوذ قدره فيهم ، فقال : ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ أي : إنما نأمر بالشيء مرة واحدة ، لا نحتاج إلى تأكيد بثانية ، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلا موجودا كلمح البصر ، لا يتأخر طرفة عين »[1] .

وقال الإمام البغوي في تفسيره :

« ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ أي : ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ ، قال الحسن : قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له »[2] .

وقال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية :

« أهل السنة والجماعة والحديث هم المتبعون كتاب الله ، المعتقدون لموجب هذه النصوص ، حيث جعلوا كل محدث من : الأعيان ، والصفات ، والأفعال المباشرة ، والمتولدة ، وكل حركة طبعية ، أو إرادية ، أو قسرية ، فإن الله خالق كل ذلك

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٨٢) .

(٢) تفسير البغوي (٧/ ٤٣٥) .

جميعه ، وربه ومالكه ومليكه ، ووكيل عليه ، وإنه سبحانه على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم ، فآمنوا بعلمه المحيط ، وقدرته الكاملة ، ومشيئته الشاملة ، وربوبيته التامة .

ولهذا قال ابن عباس : الإيمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن وحد اللّٰه وآمن بالقدر تم توحيده ، ومن وحد اللّٰه وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده »[١] .

وقال الإمام ابن تيمية أيضًا :

« وبين الأئمة أن من جعل شيئا من المحدثات كأفعال العباد وغيرها ليس مخلوقا للّٰه ، فهو مثل من أنكر خلق اللّٰه لغير ذلك من المحدثات كالسماء والأرض ؛ فإن اللّٰه رب العالمين ، ومالك الملك ، وخالق كل شيء ، فليس شيء من العالمين خارجا عن ربوبيته ، ولا شيء من الملك خارجا عن ملكه ، ولا شيء من المحدثات خارجا عن خلقه ، قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ ، وقال

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٣٣٠) .

تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[1] .

وقال أيضًا قدس اللّه روحه : « فيؤمن أهل السنة بأن اللّه على كل شيء قدير ، فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم ، وأنه ما شاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن ، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ، ولا يعجز عن إنفاذ مراده ، وأنه خالق كل شيء من : الأعيان ، والصفات ، والحركات »[2] .

فربنا فعال لما يريد ، فللّه الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين ، وله الكبرياء في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم .

وقد شاء اللّه تعالى أن تتعدد صور قدرته في أمور خلقه . فنوع منها يجري على غير سنن الخلق بل بخرقها ، وتلك يجريها اللّه تعالى على أيدي رسله تأييدا لنبوتهم .

كما كان من معجزات الأنبياء ، ومن جنسها كرامات الأولياء .

---

(١) الكيلانية : ص ٥.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٧٤) .

وهذه المعجزات ليست في أسباب البشر استطاعة حدوثها ، فهي تجري بقدرة اللّٰه تعالى بدون الأسباب البشرية ، بل بضد الأسباب .

ومنها ناقة نبي اللّٰه صالح التي خرجت من الصخرة ، وعصا نبي اللّٰه موسى التي انقلبت حية ، وإحياء نبي اللّٰه عيسى للموتى ، وانشقاق القمر لنبينا محمد ﷺ .

ونوع آخر من صور قدرة اللّٰه سبحانه ، وهو أن يجري الأمور على سنن ما أقام عليه الخلق ، فتجرى الأمور بأسباب يقوم بها البشر ، وباستطاعة منهم خلقها اللّٰه لهم .

وهذا غالب ما تجري به الأمور ، ولأجل إلف عادة الناس عليها فلا يسترعي انتباههم قدرة اللّٰه سبحانه بشأنها .

فلا يلتفت الكثير أنها قدرة اللّٰه الخالقة لكل ما يحدث ، ويردونها إلى أسبابها البشرية ، والحق أنها خلق اللّٰه وحده ، قدر أن تكون بقدرة من البشر .

ونوع ثالث من صور قدرة اللّٰه تعالى في أحداث الخلق ، وهو أن يجري الأمور بأسباب بشرية ، بيد أن هذه الأسباب في العادة

لا توافق أسباب قدرات البشر .

بل تأتي فوق طاقات هذه القدرات ، فليس ببعيد أن تعد من المعجزات بالمعنى اللغوي في كون أسبابها لا تؤدي إليها ، ولكنها ليست بمعجزات بمعناها الاصطلاحي ؛ لأنها تجري بأسباب بشرية .

وأحداث ثورة ٢٥ يناير من النوع الأخير ، فقد أجراها رب العالمين بأسباب بشرية ، فلم يخرق بها نواميس الخلق ، بل كانت بأفعال من البشر ، ولكنها فوق حسابات القدرات البشرية .

فسبحان من قدر وأراد ، فكان ما قدر بما أراد من أسباب .

* * *

ثالثًا : إرادة اللّٰه تعالى كانت فوق قوى نظام مبارك :

من تابع المشهد المصري وتفاصيله يعلم بيقين أن أحداث ثورة ٢٥ يناير كانت فوق حسابات القدرات البشرية ، وأنه لولا إرادة اللّٰه سبحانه وتعالى التي لم يعجزها قوى أنظمة الاستبداد ، ما كانت الأمور - بحساب الأسباب المادية - أن تؤول لما آلت إليه .

فقد كان تحكم نظام مبارك في البلاد شديدا للغاية، وسيطرته كقبضة حديدية لا مجال لكسرها.

و هاك إشارات وبدون تفصيلات إلى دعائم قوية ترسخ بها نظام حكم مبارك:

أولًا: اعتمد مبارك على فرض سيطرته وهيمنته على قانون القوة، فاستند إلى أنظمة عاتية من القوة المفرطة.

وكانت وزارة الداخلية قوته المباشرة في التعامل مع الناس، وتمكن قهرها بعدة أمور:

* تزايد أعدادها بشكل مبالغ جدا حتى كانت أعداد الأمن المركزي كبيرا، ولا يعلم على اليقين.

وعلى أقل التقديرات فكان عدد الشرطة يربو على عدد الجيش المصري، والذي يعد من أكبر عشرة جيوش في العالم.

وكانت تدريبات ما عرف بجهاز مكافحة الشغب شاقة تماثل تدريبات فرق صاعقة الجيش.

* كانت سياسة الشرطة التعامل بالقسوة المفرطة مع الناس، فالتعامل مع أي قضية على خلاف أجهزة الشرطة في العالم، من

وسائل التحري والتحقيق ، مع مراعاة حقوق الناس وحرياتهم ، فكانت سياسة الشرطة في مصر الانتهاكات الجسدية والنفسية ، وأصناف القهر والتعذيب في التعامل مع المواطنين .

وكان التعذيب في مراكز الشرطة عمل روتيني ، وسقط العديد من الضحايا قتلى .

وكان قهر الناس وظهور الشرطة بمظهر المتسلط المستعلي واضحا في الحياة المصرية .

* سلط النظام جهاز مباحث أمن الدولة ليراقب حياة الناس في جميع الأمور ، وتحكم في كثير من الشئون ، فصارت حريات الناس وحقوقهم مهدرة .

وتحكم أمن الدولة في الجامعات والإعلام والنقابات ومؤسسات الدولة المختلفة .

وكل من كان يظهر خروجا عن الخضوع - ولو بفكره - كان موضع اتهام ومحل ملاحقة .

وقد زودت مقارات الجهاز بأنواع عاتية من أجهزة التعذيب مطورة بأحدث وسائل التقنية ، وتحولت هذه المقارات إلى

سلخانات من التعذيب الوحشي فيما لا يتحمل الإنسان سماعه .

وقد بلغ في عهد مبارك أعداد المعتقلين أرقاما كبيرة ، وشيدت سجون ضخمة بنيت بأساليب عجيبة ، حتى كان بعضها بخراسانة خالصة ، وكانت غرف السجون لا تصلح لحياة الحيوانات .

وقد ملأت هذه السجون بأعداد كبيرة ، كانوا يقضون سنوات من عذاب الحرمان والقهر والبطش بلا محاكمات .

* فتحت خزائن الدولة لوزارة الداخلية ولجهاز أمن الدولة على الخصوص ، فكان ينفق عليه ببزخ كبير ، حتى كانت ميزانية الداخلية من الأسرار في الدولة .

ثانيًا : لم تقف قوة النظام على وزارة الداخلية ، وإنما عمد مبارك إلى أن يكون الجيش تحت سيطرته ، وأن يعده لحماية النظام إن اختلت الأمور على وزارة الداخلية .

فحرص رئيس النظام على أن يكون وزير الدفاع شديد الولاء له ، و جعل قيادات أفرع الجيش وقيادات الأسلحة خاضعا لرئيس النظام وليس لوزير الدفاع ، وكان يقدم لضباط الجيش مبلغ شهري باسم بدل ولاء .

ثم كان أحد أسلحة الجيش وهو السلاح الجمهوري خاص بحماية رئيس النظام وأجهزة الدولة الهامة ، وكان يتبع مباشرة لرئيس النظام وليس للجيش .

ثالثًا : سيطر النظام على حكم جميع مؤسسات الدولة ، فاتبع سياسة تقديم أهل الولاء في إدارة أي مؤسسة ، وكان يستبعد كل من يقصر في تقديم آيات الولاء ، وكلما عظم إخلاص الموالي زاد تقديمه ، ولم يفلت من ذلك مؤسسة حتى المؤسسات التعليمية والدينية .

فظهرت طبقة من المنتفعين فيما سمي بالحزب الوطني الحاكم ، وبهذا ضمن النظام أن جميع مؤسسات الدولة في حدود سيطرته .

وكما كانت سيطرته على حكم المؤسسات ، فقد عمل على توجيه سياساتها ومناهج العمل فيها ؛ من أجل ترسيخ حكمه ، فكانت القرارات تصب في هذا الهدف ، وكان هذا عجيبا ، فإذا اتخذ قرارا في التعليم مثلا ، كنظام الترم في المدارس والجامعات ، فهدفه ليست مصلحة التعليم ، وإنما لإشغال الطلاب عن العمل السياسي .

رابعًا : عمل النظام على تغييب الوعي المصري ، فتحكم بقوة في وسائل الإعلام ، وسخر برامجها وقنواتها في تمجيد النظام ورئيسه ، وأنفق على الإعلام ببزخ شديد ، حتى كانت ميزانية الإعلام تعادل ميزانيات التعليم والصحة والمواصلات .

خامسًا : عمد النظام إلى إفساد أمور البلاد ، فعم الفساد وطم ، وظهر في بر مصر وبحرها .

وكان الفساد جليًا في الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وفي مختلف المؤسسات الهامة كالتعليم والإعلام والزراعة والصناعة ونحوها ، وفشت جرائم نهب الأموال ، وصارت الرشاوي والمحسوبية من أصول التعامل في المجتمع .

وكان ذلك يصب في قوة النظام وترسيخه ، لأن نشر الفساد من شأنه أن يطبع كثيرا من الشعب بالفساد ، فيكون ذلك ركيزة في امتداد النظام ، ولأنه يستبعد أمل في الإصلاح في عموم الفساد وتجذره .

سادسًا : مع الأسس الكثيرة التي اعتمدها نظام مبارك في ترسيخ أركانه وتحكم سيطرته في البلاد ، فقد أراد أن يكون له

سند قوي من دول الغرب ، وخاصة أمريكا وربيبتها دولة العدو الصهيوني .

فقد جعل مبارك من نظامه أداة مسخرة في تحقيق مصالحهما ، وقدم أكثر مما كانوا ينتظرون منه .

وفي كل موقف تتعطل فيه مصالح أمريكا والدولة الصهيونية ، كانوا يجدون من نظامه سندا قويا ومنقذا أمينا ، خاصة في قضية فلسطين .

وكانت مذبحة غزة الأخيرة من اليهود بتشاور مع نظام مبارك ، وكان من مشاركته أن منع فتح معبر غزة أثناء الحرب .

ومن المشاهد الفجيعة قيام ضباط النظام بالتحقيق مع الجرحى الفلسطينيين الذين نقلوا للمستشفيات المصرية ، لمعرفة أماكن المقاومة الفلسطينية وإبلاغها لليهود .

وكان هدف مبارك الأساس أن يكون الأمريكان واليهود سنده ، وقد سعت دولة الاحتلال الصهيوني بكل ما تستطيع لعدم زوال حكم مبارك .

ما سبق إشارة إلى مدى تحكم نظام مبارك وسيطرته في

البلاد ، وتفصيل ذلك له دراساته ومتخصصوه ، فلولا إرادة اللَّه تعالى وحده ، ما كان ليزول هذا الحكم بقوته وجبروته وسياسات قهره وإمكانات سيطرته ، ولكن اللَّه يفعل ما يريد .

* * *

رابعًا : أراد اللَّه الثورة فهيأ أسبابها :

لا يوجد في الخلق سبب مستقل في حدوث شيء ، ولا بد من أسباب تتعدد ، وانتفاء الموانع التي تحول دونه ، وليس ثم مستقلا بحدوث الأمور إلا اللَّه وحده .

يقول شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية :

« ليس في الوجود سبب يستقل بحكم ، بل كل سبب فهو مفتقر إلى أمور أخرى تضم إليه ، وله موانع وعوائق تمنع موجبه ، وما ثم سبب مستقل بالإحداث إلا مشيئة اللَّه وحده ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وما شاء خلقه بالأسباب التي يحدثها ويصرف عنه الموانع »[١] .

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/٢٥٦) .

وفي أحداث ثورة ٢٥ يناير لم يستقل بها سبب من الأسباب بل مشيئة اللّٰه وحده قد هيأت مجموع أسبابها ، ودفعت الموانع دونها ؛ ليتحقق ما أراده اللّٰه سبحانه وتعالى .

فكان من أسباب الثورة حركة مجموعة من الشباب اتفقوا على شبكة النت على التظاهر يوم ٢٥ يناير .

وبعد فترة من بقائهم في الشارع أجبرتهم الشرطة على التفرق في الليل ، وتمت مظاهرات محدودة يومي ٢٦ يناير ، ٢٧ يناير ، ثم كان يوم ٢٨ يناير ، حيث صمد عدد كبير من الشباب أمام عنف مفرط من الشرطة في الشوارع ، وتجشموا في مظاهراتهم في هذا اليوم شدة وعناء ، وقتل منهم عدد كبير ، وأصيب أضعاف ذلك ، بعضهم تركت إصابته عاهة جسمية ، حتى قدر اللّٰه تعالى بانسحاب الشرطة وهزيمتهم ونزول الجيش إلى الشوارع ، وبدأ الناس يتلاحمون مع الشباب .

فكان هذا الشباب السبب الذي جعله اللّٰه محركا للثورة ، فحق لهذا الشباب أن يكون له التقدير والإكرام لما قدم من الشجاعة ، وتجشم المشاق في مواجهة عنف الشرطة ، فقد كان

سببا لنعمة اللَّه الكبيرة على أهل مصر .

ونسأل اللَّه تعالى أن يغفر لمذنبهم ، وأن يهدي عاصيهم ، وأن يرحم موتاهم ، وأن يجعل جهدهم سببا لخيرهم في الدنيا والآخرة .

وحيث إن اللَّه تعالى أراد قيام الثورة ونجاحها ، فقد هيأ لها أسبابا أخرى مع حركة الشباب ، التي لولا تهيئة اللَّه لها لانتهت مظاهرات الشباب كغيرها ، بل لعادت بمفاسد كثيرة على البلاد .

ومن الأسباب التي يسرها اللَّه تعالى لإنجاح الثورة نذكر ما يلي :

* انكسار جهاز الشرطة ، وذلك إثر مؤامرة خبيثة بإحداث الفراغ الأمني والفوضى داخل البلاد ، ثم إخراج البلطجية من مراكز الشرطة ليعيثوا مع بعض عناصر الشرطة الفساد في البلاد ، وتنتشر عمليات النهب والسرقة ، فتكون مقايضة للناس بين إبقاء نظام مبارك أو حياة الخوف والاضطراب .

وقد رد كيدهم في نحورهم ، فكان أن انسحبت الشرطة

فهاجمهم الكثير من البلطجية ، وأحرقوا عددا من مراكزهم ، وقتلوا عددا من الضباط ، فباءت الشرطة بهزيمة كبيرة ، وكان انكسارا للدرع القوي لحماية نظام مبارك .

فكانت هذه المؤامرة وفشلها من أهم الأسباب في نجاح الثورة ، حيث أدى انكسار الشرطة إلى فقدان النظام قوته الأساسية في مرحلة متقدمة من الثورة ، وبدون ذلك كان من البعيد جدا استمرار الثورة ونجاحها .

* خروج الملايين من المصريين إلى الشوارع انضماما للمظاهرات ، حتى صارت ثورة كبيرة في مدن مصر .

وكانت مفاجأة غير محسوبة أن يخرج هذا العدد الهائل في شوارع البلاد ، بعد عقود من الخوف والانكسار ، وسنين من استمراء الضعف والهوان ، فسبحان من قلب القلوب من الخوف إلى الشجاعة ، ومن الإحجام نحو الإقدام ، ومن الرضى بالهوان إلى تحقيق تغيير يشيد به الزمان ، فقدر لهذه الجموع الخروج ، وملأهم بعزم وتصميم حتى بلغت الثورة مبلغا غير مسبوق .

* مظاهر الرقي الكبير في هذه الثورة ، والتي كانت من

التوفيق الرباني الجلي ، فتجنب المتظاهرون كل مظهر للعنف ، وما زادهم قسوة الشرطة المفرطة إلا مسالمة في مظاهراتهم ، وحالوا وهم يتلقون أعاصير العنف أن يقع تخريب حيث يوجدون ، وما إن تتوارى عنهم مظاهر التعدي المفرط إلا ويصلحون ما خرب من ظلمهم ، فإذا هم للطرقات ينظفون وللمباني يحمون ، وما هدم يبنون .

ثم كان تجمع الناس وتلاحمهم ، حيث صور التعاون الراقي والتراحم الحنون بين الجموع التي تلاقت عن غير صلة أو معرفة ، فكل يؤثر بما يملك ، ويخدم بما يستطيع ، ويعين بما في طاقته .

وعجيب ما حدث من تنظيم ساد التجمعات الحاشدة في الميادين ، فنعلم أن حاجة اجتماع يضم آلاف إلى جهود مضنية في تنظيمه ، فكيف بما بلغ المليون وزاد عليه ، فكان منهم حراسة على أبواب أعدوها على أطراف تجمعاتهم ، تنظم وتتوثق لهويات المنضمين ، ومنهم قائمون ببرامج معايشة لآلاف مكثوا أياما في الميدان لا يبرحونه ، ومنهم معدون لبرامج الثقافة والفكر ، و ألوان الترويح والتسلية بما يملكون من مواهب وقدرات ، فنضحت أيام

الثورة بمظاهر الفضائل وعطاءات الرقي، وقيم التحضر الإنساني ..

كما كان الوعي الكبير الذي ظهر في مختلف البلاد، في تشكيل ما عرف باللجان الشعبية؛ حيث انتظم الشباب في مجموعات ساهرة في حراسة الناس لتوفير الأمان؛ فحالوا دون مؤامرة نشر الإجرام، وبث الخوف، التي دبرها النظام بليل، فتحقق الأمن بأيدي الشباب.

كل هذه المظاهر الراقية كانت مثار انبهار العالم، فلم يملك زعماؤه إلا تسجيل شهادات الإعجاب الشديد.

فأوباما رئيس أمريكا، وفي خطاب يفيض بالانبهار بثورة المصريين، أبدى عظيم تقديره في كلمات غاية في الإشادة، ومما قال: «يجب أن نربي أبناءنا ليصبحوا كشباب مصر».

ورئيس وزراء النمسا يقول: «شعب مصر أعظم شعوب الأرض ويستحق جائزة نوبل».

أما رئيس وزراء بريطانيا فقال: «يجب أن ندرس الثورة المصرية في المدارس».

فكان مظاهر رقي الثورة من أجل الأسباب التي هيأها اللَّه تعالى لتبلغ مبلغ النصر الكبير .

* المتابعة الإعلامية المباشرة ، والتي نقلت الأحداث لحظة بلحظة أمام مرأى العالم .

فقدر اللَّه أن تكون هذه الأحداث في فترة القنوات المفتوحة والنقل الحي ، فرؤية المصريين للأحداث كانت عاملا أساسيا في احتضان الناس لمطالب التغيير ، ثم تلاحم الملايين في مختلف مدن مصر حتى صارت ثورة شعبية كبيرة .

ثم كان نقل الأحداث لسكان العالم بالصوت والصورة ، والعالم يتابع لحظة بعد أخرى وحدث تلو حدث ، فصب ذلك في مصلحة الثوار في مجابهة النظام ، حتى تم النجاح ، فكان سببا هاما في نجاح الثورة .

وكم قضت أنظمة على ثورات لم يتهيأ لها التغطية الإعلامية .

* خذلان النظام في التعامل مع الثورة ، فكان من اليسير أن يحتوي النظام مطالب المظاهرات ، فما أكثر حيل السياسة

ومكرها ، وقدرة الأنظمة في تغيير الفكر ، وكسب العواطف ، وكسر الإرادات كبيرة ، ولكن الخذلان كان واضحا .

فكان خروج مبارك في بطء عجيب ، فأول ظهور له على التلفاز يوم ٢٨ يناير الدامي بعد مقتل قرابة أربعمائة ، في هذا اليوم صدرت بيانات عن دول عدة ، منها ثلاث بيانات عن البيت الأبيض الأمريكي ، قبل أن يخرج مبارك في وقت متأخر من الليل برد هزيل .

ومن ذلك خذلان النظام في مؤمراته الفاضحة فيما سمي بواقعة الجمال ، حيث جمع البلطجية وعناصر من الشرطة معهم الجمال والخيول مسلحين بالعصي والأسلحة البيضاء وقنابل المولوتوف في غارة شعواء لإخراج المعتصمين بميدان التحرير ، وعلى مدى ما يربو على خمسة عشرة ساعة كان الكر والفر ، والهجوم والهجوم المضاد ، في معركة مخزية للنظام ضد المسالمين العزل ، أبانت عن خذلان فاضح .

وكان ذلك سببًا أن يجلب تعاطف الجميع مع الثورة ، وأصبح مطلب زوال النظام حتميا .

وهكذا كان تعامل النظام من الأسباب الهامة في نجاح الثورة .

* حياد الجيش حين نزل للشارع بعدم مواجهة المتظاهرين ، ثم قرار الجيش بتنحي مبارك بعد أن بلغت الثورة حدا لا يمكن مواجهته ، خاصة بعد زحف المتظاهرين قبل قصر مبارك واحتشادهم حوله ، فأجبروه على التنحي يوم ١١ فبراير .

فسبحان من هيأ لما أراده من أسباب ، ثم جعل بقدرته هذه الأسباب تحقق ما يريده من تلك الثورة العظيمة في تاريخ البلاد .

* * *

خامسا : منهج شكر يكافئ نعمة اللّه تعالى على البلاد :

أحداث ثورة ٢٥ يناير هي نعمة اللّه سبحانه وتعالى ، منحها اللّه تعالى لأهل مصر ، منة منه سبحانه ومحض فضله .

هذا هو التكييف الصحيح للحادث ، والتفسير الحق للثورة ، وأي تفسير لا يصب في هذا التصور باهت لا جذور له ، وكل تحليل لا ينتهي إلى فهم النعمة الربانية وإدراك المنة الإلاهية مشوه مردود .

فأحداث الثورة إحدى تجليات العطاء الرباني لأهل مصر، وليس من المفارقة أن تتكرر تلك المنة على اختلاف في التفاصيل.

فقديما تسلط فرعون مصر وجنده على بني إسرائيل الذين عاشوا سنينا من الظلم والهوان، حتى شاء اللَّه تعالى أن يمن على المستضعفين المظلومين، فأخذ الفرعون نكال الآخرة والأولى، وأهلكه شر هلكة.

ووقف نبي اللَّه موسى عليه السلام بعد هلاك فرعون يفسر لقومه حقيقة الحدث، فقال كما ذكر القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٦].

وقد امتن اللَّه تعالى بهذه النعمة العظيمة في آيتين أخرتين[١].

---

(١) الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٤٩]. =

والآيات ترجع الحدث كله إلى نعمة اللَّه وحده .

وتتشابه ألوان المحنة بين حكم فرعون ونظام مبارك ، وإن تباينت درجاته ووسائله وأحكامه .

فكانت سياسة العذاب جامعة ، وقد اعتمدها نظام مبارك في ترسيخ حكمه ، وكم عانى الكثير من قسوتها .

وكما اعتمد فرعون موسى القتل سياسة منهجية ، فقد سقط من القتلى على يد جنود مبارك ما لا يعلمه إلا اللَّه ، فضلا عن التعذيب والاعتقال والحرمان والاضطهاد .

وكان فرعون يستبقي النساء للخدمة ، وهي صورة من العذاب النفسي ، واتبع نظام مبارك صورا كثيرة من الإهانة والمذلة .

فكانت نعمة اللَّه تعالى بإهلاك فرعون وجنوده منة على المستضعفين ، وكانت نعمة اللَّه تعالى بزوال نظام مبارك منة على

= والثانية : قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [سورة الأعراف : ١٤١] .

أهل مصر ، فللّه الحمد في الأولى والآخرة .

ونعمة اللّه تعالى لابد من أداء حقوقها ، فالنعمة تستوجب أن يكون المسلم أهلا لمنحها ، واللّه تعالى لا يخلق عبثا ، ولا يعطي سدا ، ولهذا ختمت الآية بعد ذكر النعمة بقوله تعالى : ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ .

والمعنى أن النجاة من عذاب فرعون نعمة عظيمة من اللّه تعالى قدرها اللّه تعالى بلاء أي اختبار .

يقول الإمام الحافظ ابن كثير :

« فأنقذ اللّه بني إسرائيل من ذلك ، وهذه نعمة عظيمة ؛ ولهذا قال : ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أي : نعمة عظيمة منه عليكم في ذلك ، أنتم عاجزون عن القيام بشكرها »[١] .

فما منحها اللّه - سبحانه تعالى - إلا اختبارًا للناس ، فينظر كيف يعملون .

فمن الناس من يجحد النعم ، فلا يكون منه شكر لربه ، ومنهم من يقابلها بالشكر فيكون أهلا للمزيد ، ولذا جاءت الآية

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٤/٤٧٩) .

التالية بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم : ٧] .

وكلما عظم قدر النعمة استوجبت قدرها من الشكر ، وهذه المنة الكبرى على أهل مصر تستدعي بحق تعاملا كبيرا .

وبادئ الأمر بما بدأ به نبي اللَّه موسى من ذكر النعمة ، ومن ذكر النعمة استشعار عظمتها وتقدير جلالها .

فلا يحق التغافل عن قدر النعمة وعظيم أثرها ، فهي من الأحداث ذات الأثر الكبير ، وإحدى المراحل الفارقة في تاريخ البلاد ، فقد تلاشت دونها التوقعات ، وصغرت قبلها الأمنيات ، وكاد لا يتصورها تفسير سياسي مهما اتسع أفقه .

فما حدث واحدة من مظاهر القدرة الربانية الظاهرة في اقتلاع جذور راسخة لحكم طال استبداده ، فجدير أن يدرك الناس عظمة النعمة وجلالة المنة .

إن اللَّه تعالى قدر إجراء الأحداث بجهد من بعض أهل مصر فكانوا كمن قال اللَّه فيهم : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة القصص : ٥] ، فما أجلها من منة

على أهل مصر .

فحق على الناس أن يكونوا على قدر النعمة ، وعلى مستوى الحدث .

قد يتأخر بعضهم في الإدراك ، و قد يمر دون تأثير ، أو بتأثير وقتي سرعان ما يزول ، وقد يخرجه بعضهم في سياق باهت ، كالتأثر بنظرية المؤامرة التي زرعها اليهود ، ونالت أثرا ببعض العقول .

ولكن ما نراه واجبا استشعار جلالة النعمة ، والالتفات لضخامة المنة ، وإدراك تفضل المولى المتعال بهذا العطاء .

يجب من تغيير في الحياة يكافئ ما غير اللّٰه تعالى ، تغيير تعتمد فيه الحياة على أصول الإيمان الحق باللّٰه وحده .

فهو سبحانه لا تدرك كنه عظمته العقول ، ولا تحيط بقدر قدرته الأوهام ، ما الأرض وما فيها إلا ذرة في كونه ، وكل خلقه أثر فعله ، فكيف بعظيم صفاته وجليل ذاته .

سبحانه بيده الخلق والأمر ، فيجب تقديره سبحانه حق قدره ، وأن تحيى القلوب على العلم الصحيح بكمال أسمائه وصفاته .

فهو وحده الملك الحق، مالك الملك، الخالق وما دونه مخلوق، والرب وما سواه مربوب، الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره.

يدبر أمر مملكة الخلق وحده، فيعز ويذل، ويحيي ويميت، ويرفع ويخفض، ويعطي ويمنع، ويهين ويكرم، ويثيب ويعاقب.

ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجري حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، إلا أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت بها مشيئته، واقتضتها حكمته.

سبحانه الرب العظيم والخالق الرحيم، أرواح العباد بيده، ونفعهم وضرهم بأمره، ورزقهم بقدره، وعطاؤهم ومنعهم إليه، إن أراد أحدا بخير فلا راد لفضله، وإن أراده بسوء فلا كاشف له غيره.

فينبغي أن يحيى الناس على الإيمان، يمتلأ القلب لربه تعظيما وإجلالا، ويفيض لخالقه عرفانا ومحبة، فلا يكون له هما إلا مرضاة الله.

فيصبح ويمسي يريد وجهه، ويبغي قربه، ولا يأنس إلا بذكره، ولا يسعد إلا بحبه، فاللّه تعالى أكبر همه ومنتهى قصده، يدعوه رغبة ورهبة، ويرجوه خوفا وطمعا.

فتقوم الحياة على محبة اللّه والخوف منه والرجاء في كرمه، فتلك حياة العبودية الخالصة والإيمان الحق، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة الزمر: ١٤].

ثم يجب أن يطبع الإيمان في مظاهر الحياة في الانضباط بشرع اللّه تعالى، فيكون السباق في فعل فرائض اللّه، والمقام في عبادات الخالق، والبعد عما حرم اللّه، وتجنب الفسوق والعصيان والفحشاء والمنكر.

ويجب التخلق بأخلاق الإسلام وقيم الإحسان، فيكون الألف بين الخلق، وتفتح أبواب الرحمة والبر، ليكون المسلم مفتاحا للخير مغلاقا للشر.

له في النبي ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، فقد كان أنفع الناس للناس، وأرحم الخلق بالخلق، وكان أعلى صور جمال القيم ورقي السلوك.

والمسلم على خطى حبيبه يفيض بالحب والخير للناس، يتمثل أخلاق الرجولة والسماحة والصدق والعفاف.

هذا التغيير الذي يصنعه الإيمان بالله تعالى هو الجدير بمكافأة نعمة الله سبحانه، فذاك حقيقة شكر النعمة.

فالشكر ليست كلمة بلا معنى، أو جملة بلا مضمون، وإنما سلوك حياة كامل يصبغ الشخصية بالعبودية الحقة لله تعالى.

ألا ترى كيف شكر نبي الله موسى نعمة هلاك فرعون بعبادة الصيام.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: «ما هذا؟»، قالوا: هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. قال: «أنا أحق بموسى منكم»(١).

وكيف شكر النبي ﷺ نعمة مغفرة ذنوبه بقيام الليل حتى تورمت قدماه.

فعن عائشة رضي الله عنها: أن نبي الله ﷺ كان يقوم من

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٧٠٤، رقم ١٩٠٠)، أحمد (١/ ٢٩١).

الليل حتى تتفطر قدماه . فقالت عائشة : لم تصنع هذا يا رسول الله ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ . قال : « أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا »[1] .

فهذا الشكر العملي بالصلاة والصيام والعمل الصالح ، كما قال تعالى : ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ : ١٣] .

والمقصود أنه ينبغي أن يتأهل الناس لمنة الله تعالى وفضله ، وأن يبزغ في قلوبهم فجر الإيمان ، و تشرق في حياتهم شمس التقوى .

لا بد من روح جديدة تسري في الحياة ، فيسود منهج الكرامة والسعادة في الدنيا والآخرة ، منهج الإسلام العظيم يصبغ شئون الحياة ، فتعم مبادئ الخير وقيم الرقي قائمة على عبودية الله سبحانه وحده لا شريك له ، فيكون الفوز بسعادة الروح ، والنعيم بنهضة الدنيا وجنة الآخرة .

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٩/٦ رقم ٤٥٥٧)، مسلم (١٤١/٨ رقم ٢٨٢٠).

فهذا شكر اللَّه تعالى على ما امتن به ، يستأهل أهله المزيد من فضل اللَّه وتوفيقه وبركاته ، لا كأهل السوء ممن يبدل نعمة اللَّه العظمى بالغفلة ، ودوام التفريط في حقوق الدين والدنيا ، والبقاء على الذنوب ورذائل الأخلاق والمعاملات .

فرجاؤنا عظيم أن تكون مصر جديدة بعد ما غير اللَّه لها ، ولعل ذلك يجعل منها قاعدة لبزغ نور الحق والصلاح للبشرية جمعاء ، وعودة مباركة لتمكين دين اللَّه في أرضه .

* * *

الفصل الثاني
ثورة ٢٥ يناير عظات وعبر

ما أكثر العبر التي تتضمنها أحداث قدر الرب ، وأحداث ثورة ٢٥ يناير من الأحداث الكبيرة التي تفيض بالعبر .

ونقف مع بعض عظاتها وعبرها ، لتكون ذكرى للذاكرين ، وموعظة للمؤمنين .

(١) إن اللَّه ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته :

تأتي أحداث ثورة ٢٥ يناير مثالا جديدا على أن اللَّه تعالى لا يغفل سبحانه عما يعمل الظالمون .

فاللَّه تعالى يمد من يشاء بالقوة والجاه ، ويستخلف من يشاء في الملك والسلطان ، لينظر سبحانه كيف حال من مد واستخلف .

فمن أخذته العزة بالإثم ، وتقلب في مراتع الظلم ، قد خدعته نفسه وأغواه شيطانه ، فظن أنه صاحب الملك ، قد ناله عن حق بما كسبت يداه من بطولات وأمجاد ، وأعطى لنفسه الحق في التحكم في رقاب العباد وأموال البلاد ، فمنع حقوق

الناس حيث ما ملكه اللّٰه إلا ليؤتيهم إياها ، ثم راح يسومهم ألوان العذاب .

فحين ينحط الحاكم في دركات الظلم هذه ، غافلا أن اللّٰه ليس بغافل عنه ، فإن اللّٰه تعالى لا يعجل في إهلاكه ، وإنما يؤخر له في مدته .

فإذا ازداد ظلمه وعم طغيانه ، أخذه اللّٰه تعالى بقوة عزيز مقتدر ، فلا مهرب له ولا مفر ، قال تعالى﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود : ١٠٢] .

هذه القاعدة الربانية في أخذ الظالم قد يستبطئ البعض تحقيقها ، وتدخل النفوس اليأس من استطالة عهد الظلم ، لا يعلمون أن أمر اللّٰه قدرا مقدورا ، وأنه سبحانه لا يخلف أمره في نهاية الظالم الوخيمة .

فتأتي الأحداث عيانا للناس بما يعلمون من كلام اللّٰه تعالى ، فيوقن الناس بقوة اللّٰه التي لا تقهر ، وبعدل اللّٰه الذي لا يتخلف ، وبأخذه سبحانه للظالم بعد إملائه المقدر في سنن الرب سبحانه .

وقد كثر ظلم نظام مبارك وكثر ضحاياه ، وكم ارتفعت الأيادي بدعوات المظلومين سارية في جوف الليل ، تشكو إلى اللّه تعالى قتل أبرياء وتشريد أسر وإهانة كرامات وسلب حقوق .

ولم يكن مبارك يبالي بالمظلومين ، بل حكى أحد من عمل في رئاسة الجمهورية شدة غضب مبارك حين وجد في أوراق التقارير المقدمة إليه ورقة فيها مظلمة من امرأة مسكينة ، غيب جنود النظام ولدها في غياهب السجون ، ولا تعلم له مكانا ، وتستعطف أن تهتدي لحال ولدها ، فما كان من مبارك إلا عقاب من تسبب في دخول المظلمة إليه خطأ وأقاله من عمله .

فكان مبارك لا يبالي بصرخات المظلومين ، ولا يعبأ بأنات المعذبين وشكاوى المستضعفين ، ولما طال أمده وبلغت مدة حكمه ثلاثين عاما ، كأطول مدة لحاكم في تاريخ مصر ، استيأس الناس من نزول أمر السماء به .

فكانت سنة اللّه تعالى أن أملاه ثم أنزل به أمره ، فانتهى حكمه في صورة مهينة وخزي فاضح ، وقدم للمحاكمة كبار جلاديه الذين كانوا يد الظلم الباطشة .

فهذه عبرة من قبس الحكمة النبوية ، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1] .

(٢) وتنزع الملك ممن تشاء :

الملك ملك الله تعالى ، فهو وحده صاحب الأرض كلها ، وما يكون من ملك بشري إلا بإيتاء الله له الملك .

كما قال تعالى فيمن حاج إبراهيم في ربه : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٨] .

وملك الله تعالى حين يؤتيه من يشاء ، فإنه سبحانه يسلبه وقت شاء ، قال تعالى : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران : ٢٦] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٢٦، رقم ٤٤٠٩) ، ومسلم (٤/ ١٩٩٧، رقم ٢٥٨٣) .

وتعبير القرآن البليغ بكلمة ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ﴾ ، ذات دلالة على ما يكون من تشبث قوي من البشر الملك بملكه ، فلا يسلب منه إلا انتزاعا ، ولا يؤخذ إلا غلابا عن كره شديد .

وما حدث في أحداث ثورة ٢٥ يناير نموذج واضح ، فقد كان مبارك متشبثا بالحكم حتى آخر لحظة ، وقد قال ذات يوم : إنه سيظل يحكم مصر ما دامت فيه حياة .

ورغم خروج الملايين في الشوارع ، وحالة الثورة العارمة في جميع البلاد ، كان عاتيا في عناده متشبثا بملكه ، ومؤامراته على مدى عشرين يوما وخطاباته كلها كانت ثباتا وتشبثا ، حتى في ليلته الأخيرة خرج رئيس حكومته ليقول : إن جميع الأمور بيد الرئيس . وصرح وزير إعلامه بأنه لا نية مطلقا لدى رئيسه في التنحي ، وخرج هو في بيان تلفزيوني ليصدم العالم كله ، معلنا استمراره في الحكم ، بعد أن كانت جميع الأوساط تؤكد أن تنحيه حتمية لا مفر منها ، وأصيب بعض الناس بالإغماء من آثار صدمة خطابه .

وكانت أشبه بمقامرة لمبارك على حساب انفجار البلاد ،

ودخولها في نفق مظلم لا يعلم مداه إلا اللَّه ، حتى تدخل الجيش ونزع منه الملك ، لتبقى العبرة بينة : ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

(٣) فأتاهم اللَّه من حيث لم يحتسبوا :

سنين عددا ونظام مبارك يرسخ أركانه في البلاد ، على إدراك تام أنه بلا شرعية في الحكم .

فهو لم يستمد حكمه مثلا من منظور شرعي إسلامي ، ولم يستمد شرعيته من اختيار الشعب له ، فلم ينتخب في انتخاب حقيقي .

بل كان كل ست سنين يجدد حكمه باستفتاء صوري هزلي ، معد نتيجته سلفا في عمليات تزوير فاضحة ، وبنفس الأسلوب كان انتخابه في التجديد الأخير ، فلا شرعية بانتخابات الشعب .

وبعض الأنظمة تستمد شرعيتها من ثورة أزالت فيها حكما مرفوضا كما حدث في ثورة ٢٥ يناير ، ومثل هذا لم يكن لنظام مبارك .

والمقصود أن مبارك الذي حكم البلاد ثلاثين عاما لم يكن لحكمه شرعية ، سواء بمنظور شرعي أو بمنظور سياسي ، وهذه القناعة المعلومة جعلت النظام يعد عدته لمحاربة كل من يفكر أو يعمل في إنهاء حكمه .

وقد جعل نظام مبارك من الجماعات الإسلامية عدوا مبينا ، فكانت سهام حربه ومؤامرات مكره كلها تنالهم . ومن أجل ذلك كان ضحايا الجماعات الإسلامية من نظام مبارك قتلا وسجنا وتعذيبا وتشريدا وظلما واضطهادا كبيرا جدا ، فحرمهم الكثير من حقوقهم كمواطنين مصريين وصب عليهم أسواط الظلم والتنكيل .

وكان هم نظامه الأكبر تتبع كل من يعرف عنه انتماؤه للجماعات الإسلامية ، ثم انسحب ذلك حتى نال كل من ينضبط بهدي الإسلام ، وسلط وسائل إعلامه ومناهج التعليم وسياسات البلاد لمحاربة ما سمي بالتيار الإسلامي .

فلما ظنوا أنهم قادرون على تعجيز التيار الإسلامي والإمساك بزمام الأمور ، أتاهم أمر اللّٰه تعالى من حيث لم يحتسبوا .

فلم يكن تحريك الثورة وتفجيرها من التيار الإسلامي ، بل كان مما عرف بشباب الفيس بوك ، وهي طائفة من الشباب اتخذت من شبكة النت ميدان تواصل وتعارف ومحلا لدعوات الإصلاح .

وما كان النظام ولا غيره يظن أن هذه الفئة من الشباب مؤهلا لثورة كبيرة وعظيمة ، ولكنه أمر اللَّه عز وجل ، ليتعظ كل ظالم ، أنه مهما تمكن من أسباب القوة فلن يستطيع أن يملك جميع الأسباب ، وأن اللَّه وحده بقدرته قد يجعل أمره في سبب لا حسبان للظالم به .

فاللَّه وحده القوي ، وما يعلم جنود ربك إلا هو ، فلا يمكن أن يفلت ظالم من قدرة اللَّه سبحانه وتعالى ، وأسباب قدرة اللَّه لا حصر لها .

فالعبرة لكل ظالم : ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواۖ﴾ [الحشر : ٢] .

(٤) بسلاح الظالم تزول قوته :

إن شأن اللَّه عظيم ، وقدرته سبحانه لا حدود لأقطارها ،

ومن يشاقق اللّٰه تعالى يقصمه اللّٰه .

ومن عجيب حكمة اللّٰه سبحانه أن يكيد لأهل البغي ، فحين يأذن اللّٰه تعالى بزوال الظالم ونهاية غشمه يجعل تدبيره تدميره ، فيكون ما يدبره الظالم ردا في نحره ، وما يكيده سببا في هلاكه .

وفي أحداث الثورة كانت حكمة اللّٰه بالغة ، فما رمى نظام مبارك بسهم من سهام مكره إلا وعاد وبالا عليه .

فنظام حكمه وفي سابقة لم تحدث قبل قطع وسائل الاتصال عبر الهواتف والنت ، غير مبال بما يؤديه من مفاسد على حياة الناس التي أصبحت تلك الوسائل معتمد مصالح شئونهم في أرزاقهم وشئون حياتهم ، وقد أراد النظام بذلك أن يحول دون تكاثر التجمعات في الشوارع ، فكان ذلك سببا في تكثيرهم حيث دفع منع الاتصال من انقطع اتصاله بذويه إلى النزول للشارع فكثر المتظاهرون .

وكان المكر السيئ الذي اتبعته الداخلية في إرهاب الشعب – بعد ثبات المتظاهرين وتحملهم قسوة الشرطة المفرطة – ،

بسحب الشرطة من الشوارع والأقسام وإخراج البلطجية منها ليعيثوا في الأرض فسادا.

كان في قرار الانسحاب كسر قوتهم، وقد قام البلطجية بمهاجمة الشرطة، فانقلبت عليهم الدائرة، وباؤوا بهزيمة كبيرة، وزال حاجز الخوف عن الناس، فتلاحم الملايين مع الثورة.

وكان من مؤامرات الكيد ذات التأثير الكبير في أحداث الثورة ما عرف بموقعة الجمال، وكان مخططا لإخراج المتظاهرين من ميدان التحرير لإنهاء الثورة، فكانت هذه الحادثة سببا لتعاطف كبير مع الثورة، وكشف فاضح لمؤامرات النظام، وأثمر التصميم البالغ على زوال نظام مبارك.

فسبحان من جعل زوال قوة نظام مبارك بتدبيره وأسباب كيده، ورد سهام أسلحته في نحره.

(٥) يظن الخلود وحتفه أمامه:

عجيب شأن الطغاة، تعمى قلوبهم وإن أبصرت عيونهم، فيرون ملك اللّه الذي آتاهم ملكهم، والخلق ممن استرعاهم اللّه كعبيدهم، وأسباب الجاه والسلطان التي حباهم اللّه أوتوها –

بزعمهم – عن اقتدار واستحقاق .

لقد تكلم أحد ضباط مبارك مع بعض المتظاهرين يوم زحفوا نحو قصره ، فكان مما قال لهم : « نحن ملكه » ، هكذا أوصل الطغاة تصورات جنودهم .

ولأن الملك ملكهم والسلطان سلطانهم والأمور بأيديهم كما سولت لهم أنفسهم ، فلا مجال أن يتركوه ولو بعد ثلاثين عاما حكمها مبارك . ومهما كبر سنه وإن تجاوز الثمانين ، فما يسري عليه قول الشاعر العربي :

سَئِمتُ تَكاليفَ الحَياةِ وَمن يعِشْ
ثمانِينَ حَوْلًا لا أبَا لكَ يَسْأَمِ

لكن مبارك ما سئم بعد الثمانين حكم البلاد الذي قضى فيه ثلاثين عاما ، فإن سبب ذلك العجب ، فالعجب الأكبر أن يعد لتوريث الحكم لابنه ، أليس ملكه حق لأبنائه .

بهذا دبر مبارك سنين طويلة يهيئ الأمر ليرثه ابنه على حكم البلاد ، وقد أقام من الأسباب داخليا وخارجيا ما يزيل العقبات ويرفع الحواجز ، وكم أضاع من مصالح قومية للبلاد لكسب

رضا أمريكا ودولة صهيون في التوريث ، وكانت سياسات الحكم ومؤسسات الدولة مسخرة لهذا المخطط ، و ظل الوريث متسلطا في شئون البلاد يمسك كثيرا بزمام الأمور ؛ إعدادا له على سلطة الحكم .

هكذا كان شأن مبارك ظن أنه قادر على ما يريد ، مدبر لما يحب ، وكأني بحال القدر ساخرا من جهل البشر وطغيانهم ، هو يعد لملك سنين طويلة وحتفه أمامه ، قد كتب عليه لا محالة .

فكان مكر مبارك في بقاء الحكم له ولابنه ، وقد مُكِر به وهو لا يدري ، فما كان تمكنه وأسباب تجبره إلا استدراج من اللّه سبحانه ، وإملاء لنهاية نسجت خيوطها فلا مفر له عنها .

فبعد شهور من انتخابات البرلمان التي أعدت بمكر كبير ؛ تهيئة لما يعده النظام من بقاء حكم البلاد لمبارك وابنه ، وقبل شهور من اكتمال الكيد بانتخابات الرئاسة الجديدة في سبتمبر ٢٠١١ ، لترسيخ حكم آل مبارك ، أتاهم أمر اللّه تعالى بثورة يناير فزال حكمهم وانتهى أمرهم .

إن العبرة جلية ، فلا ينبغي أن يركن أحد لملك أو يغتر بشر

بقوة ، فدوام الحال من المحال ، واللَّه وحده من يغير ولا يتغير ، والمؤمن يجعل همه وتعبه لآخرته ومرضاة ربه ، وليس لدنيا لا تدوم لبشر .

(٦) قد ينصر اللَّه تعالى الحق بعيدًا عن حساب أهل الحق :

اللَّه تعالى صاحب القدرة المطلقة ، فإن عجز أهل الحق عن نصرته ، وكسرهم أهل الظلم والطغيان ، فاللَّه تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

فمن قدرته تعالى وحكمته أن ينصر الحق بناس كفار ، وبأقوام لا خلاق لهم ، وبعيدا عن حسابات أهل الحق . وهذا الأمر قد جرى في مواقف عدة من سيرة النبي ﷺ ، فنصره اللَّه تعالى بعمه أبي طالب ، وهو على دين قومه ، فما نالت قريش من النبي ﷺ شيئا يكرهه في حياة أبي طالب .

وعن العباس بن عبد المطلب رضي اللَّه عنه أنه قال : يا رسول اللَّه ، هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : « نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا

لكان في الدرك الأسفل من النار»[1].

وبعد موت أبي طالب خرج النبي ﷺ للطائف، يدعوهم إلى اللّٰه تعالى، فردوه ردا سيئا، فعاد إلى مكة ورغب في النصير، فأجاره المطعم بن عدي وحماه من أذى قومه، وحفظ النبي ﷺ للمطعم نصرته، فقال يوم بدر، وقد نصره اللّٰه تعالى على قريش، وأسر منهم سبعين رجلا،: «لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له»[2].

وجين اضطهدت قريش المؤمنين أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة؛ ليكونوا في نصرة النجاشي وكان على النصرانية.

والنماذج كثيرة، وعن أبى هريرة رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه ﷺ قال: «إن اللّٰه ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٤٠٨، رقم ٣٦٧٠)، ومسلم (١/ ١٩٤، رقم ٢٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤/١٤٧٥ رقم ١٤٧٥)، وأحمد (٤/٨٠)، أبو داود ٣/١٣ رقم٢٦٩١) عن جبير بن مطعم.

(٣) أخرجه البخارى(٣/ ١١١٤،رقم٢٨٩٧)، ومسلم(١/ ١٠٥،رقم ١١١).

وثورة ٢٥ يناير لم تكن بحساب التيار الإسلامي، فلم تتحرك براية إسلامية، ولم تنتظم بقيادة شرعية.

وكان هذا بحكمة اللَّه سبحانه وتعالى الذي يجري الأمور بسنن، حيث كانت الراية الشرعية للثورة سببا في تأليب قوى الشرق والغرب ضدها فتكا واضطهادا، فشاءت حكمة اللَّه سبحانه أن يجري الأمور بغير حساب أهل الدعوة الإسلامية، ليكون في ذلك عبرة، بأن الأمر كله للَّه لا يخرج عن قدرته وحكمته، وأنه يدبر لأهل الحق ويأتيهم بنصرته من حيث لا يحتسبون.

وكثيرا ما يكون رزق المؤمنين بهذا الباب، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

* * *

الفصل الثالث

ثورة ٢٥ يناير ومنهج العمل الإسلامي

من أثر نعمة اللّٰه سبحانه وتعالى الكبيرة عودة العمل الإسلامي إلى ساحة العطاء ، بعد عقود من قيود صارمة من نظام مبارك .

ويستلزم ذلك أن نتبين معالم العمل الإسلامي عن فهم وبصيرة ، بعيدا عن فوران اندفاع كثيرا ما يصاحب من تفتح له أبواب الانطلاق بعد سنوات المنع والحبس .

و بعيدًا عن أن يكون العمل الإسلامي ردود أفعال المخالفين أو المعادين .

فيجب أن يكون العمل الإسلامي معبرا عن منهج الإسلام الرباني الذي يستحيل أن يعادله مناهج البشر القاصرة .

وفي نقاط تالية توضيحات في محاولة لإنارة طريق العمل الإسلامي الرشيد

أولًا : الثورة نصرة للإسلاميين في تغيير نظام مبارك :

على مدى تاريخ مبارك كانت الحركات الإسلامية تهدف

لتغيير نظامه ، صحيح أن التصورات تعددت في وسائل التغيير .

فبعضها انتهج سبيل المقاومة المسلحة ، وبعضها انتهج سبيل العلم والتربية ، ليكون التغيير من قاعدة الشعب فيثمر ذلك تغييرا في النظام ، وبعضها انتهج سبيل المشاركة في العمل السياسي ، محاولا استخدام ما يتيحه النظام من قنوات لتحقيق التغيير ، والبعض كان يرى الصبر حتى يتحقق التغيير القدري .

وفي مقابل موقف العمل الإسلامي من التغيير حشد النظام ما يملك من قدرات الدولة في تثبيت أركانه ، فكانت مواجهة بين تصورين : العمل الإسلامي وقناعته بالتغيير ، وعمله في حدود المستطاع لتحقيق ذلك ، و نظام مبارك مستجمعا القوى والقدرات لتثبيت حكمه وترسيخ سيطرته .

وقد قدم العمل الإسلامي في سبيل المواجهة تضحيات كبيرة جدا ، فكم قتل من الإسلاميين في مقار أمن الدولة وفي السجون والمعتقلات ، وأعدم عددا منهم في محاكمات مختلفة ، ونال الكثير منهم تعذيب وحشي ، وزج بالآلاف منهم في المعتقلات ، بلغت فترة سجون بعضهم سنين طويلة ، وحرم الكثير منهم

عمله، وسلبت منهم أموالا كثيرة، وغيرها من التضحيات الجسام التي قدمها العمل الإسلامي في حكم مبارك .

وكان نظام مبارك يسعى أن يكون رأي الناس منضويا تحت جبهته، فوظف الإعلام والتيارات ذات التاريخ المعادي للعمل الإسلامي في تكوين قناعة الرفض للعمل الإسلامي، وتأييد بقاء مبارك وإباء تغييره، حتى لاكت ألسنة عوام المصريين: إننا لا نعرف سوى مبارك، فلا نرتضي بغيره .

وجاءت ثورة ٢٥ يناير لتقلب موازين المواجهة، فتحركت الملايين تطالب بالتغيير، ونصر اللّٰه تعالى الحق، وخذل الباطل، وذهب الزبد جفاء، وتحقق هدف الإسلاميين الذي طالما ابتغوه، ولأجله نالهم الكثير من الظلم والاضطهاد .

صحيح أن التغيير تحقق بما لم يحتسبوه، وبما لم يكن في تصوراتهم، ولكنه التغيير الذي أرادوه، فهم أولى الناس رضا به، وتأييدا له .

ثانيًا: الموقف من مناهج التغيير:

التغيير الذي تم به زوال النظام كان بثورة شعبية حركها بعض

الشباب ، حين خرج في مظاهرات يوم ٢٥ يناير ، ثم كان يوم مواجهة دامية يوم ٢٨ يناير بين الشرطة المأمورة بمنع خروج المظاهرات بكل سبيل ، وباستخدام كل عنف ، وبين متظاهرين ذوي تصميم وعزيمة على المظاهرات السلمية ، ثم انهزمت الشرطة في هذا اليوم بمكر سيء منهم انقلب عليهم ، ثم نزل الجيش إلى الشارع ، وانضم المصريون بالملايين إلى المتظاهرين ، وأصبحت ثورة شعبية عارمة ، أتم اللّٰه بها أمره بزوال نظام مبارك .

ومثل هذا التصور كان بعيدا عن حساب العمل الإسلامي ؛ لأنه حدث بأسباب غير مأمونة العواقب ، ولولا إرادة اللّٰه سبحانه وحده ما أثمرت النجاح الكبير ، بل كان يمكن أن تؤدي إلى فتنة عارمة ومفاسد كبيرة .

ولا ريب أن هذه الثورة تستدعي من العمل الإسلامي نظرة في وسائل التغيير ، ويدفعنا ذلك أن نشير إلى أمرين :

الأول : أن تغيير الحكم في الإسلام يأتي في إطار السياسة الشرعية .

والمقرر في منهج الإسلام أن كل ما ليس من أمور العبادات

المحضة ، مما يعتني بسياسات الدنيا هي وسائل لتحقيق مصالح المسلمين ، وأن القواعد التي تحكم هذه الوسائل هي : أن الوسائل يجب أن لا تصادم نصوص الشرع ، فإذا لم تخالف نصا شرعيا فللوسائل حكم الغايات .

فكل وسيلة لم تحرمها النصوص صحيحة شرعا ما صحت غايتها من تحقيق مصالح الإسلام والمسلمين .

فعلى وفق هذه القاعدة تحرر جميع الوسائل لقبولها أو رفضها ، فالإسلام يتضمن إقامة المصالح ودرء المفاسد ، وحيثما كانت المصالح الحقيقية فثم شرع الله .

الثاني : أن منهج استعمال القوة في التغيير من المناهج التي انتهجها البعض في عهد مبارك ، وقد تراجع أصحاب هذا النهج بعد سنوات من المواجهة المسلحة مع النظام .

وفي نظرة سريعة على مآلات سلوك هذا السبيل ، نجد أن استعمال القوة لم يكن في الحقيقة إلا زيادة في قوة النظام ، وترسيخا لأركانه ، وزيادة لأنصاره ، وهذا كله يناقض منهج التغيير .

فاستعمال القوة ضد النظام أدي إلى أن يزيد النظام من جنوده وعتاده ، وهو يملك أسبابها ، فضاعف نظام مبارك قوة شرطته ، حتى صارت جيشا تربو أعداده كثيرا عن عدد الجيش المصري .

ثم كان استخدام القوة ضد النظام حجة لفرض القيود البوليسية على البلاد ، وقد استعمل النظام صورا من الاضطهاد والظلم بأساليب مروعة .

ثم كان استخدام القوة ضد النظام معتمده في استعمال القوة ، وقد أفرط كثيرا فقتل وعذب وسجن بلا حدود .

ثم كان استعمال القوة ضده أرضية لينشر بإعلامه الفاسد الأكاذيب لتشويه صورة العمل الإسلامي ، ورسمه بأشنع الصور المنفرة ، حتى وضع حواجز الخوف بين الناس وأهل العمل الإسلامي .

هذا فضلا عما أنتجته المواجهات من سفك الدماء شديدة الحرمة في الإسلام، وانتهاك الحرمات وإشاعة الخوف ، وهي مفاسد عظيمة تتراجع بسببها الدعوة الإسلامية كثيرا .

كل هذا يفسر أن استخدام منهج القوة في عهد مبارك كانت مفاسده كبيرة ، دون أن يحدث التغيير الذي حدث بثورة شعبية سلمية .

فاللجوء لتصور القوة ومنهج العنف لا يثمر إلا المفاسد ، والإسلام يؤثر الرفق على العنف ، ولا تكون الشدة إلا حين لا ينفع سواها ، فآخر الدواء الكي .

ثالثًا : منهج الحكم في الإسلام :

العمل الإسلامي يحمل التصور الإسلامي لدولة الإسلام ، والحكم الإسلامي يقوم على إقامة الدين وصلاح الدنيا .

أما إقامة الدين فتستلزم بناء الإيمان من الاعتقاد الصحيح في مسائل الإيمان باللَّه تعالى وملائكته وكتبه ورسله والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر .

وكذا بناء أعمال القلوب من تعظيم اللَّه تعالى ومحبته والتوكل عليه والرضى بأمره .

وكذا إقامة فرائض الدين من الصلاة والصيام والحج والزكاة ، وترك المنكرات من : الشرك ، والبدع ، والبغي ،

وانتهاك حرمة النفوس والأعراض، وارتكاب الفواحش والمنكرات.

وكذا نشر قيم الخير والأخلاق والبر والإحسان.

وصلاح الدنيا يعني تحقيق مصالح المسلمين على مستوى الأفراد والمجتمع، في معاشهم وأمور دنياهم، اقتصاديًا واجتماعيًا، وإداريًا، وسياسيًا، بما يحقق ضرورات الحياة وحاجاتها وتحسيناتها، ويعد لقوتهم على كافة المناحي فيرهبهم أعداؤهم.

وهذان الجانبان للعمل في الدولة الإسلامية من إقامة الدين وصلاح الدنيا ينتظم جهود المسلمين وقدراتهم.

وينبغي وجود القيادات المؤهلة لتحقيق الجانبين، وهذا يستلزم أن تكون القيادة تحمل مؤهلات وقدرات كفيلة بتحقيق الهدف المرجو.

وفي عهد الخلافة الراشدة كان قيادات الصحابة ممن جمع الله لهم ما تفرق بعدهم، فكان الخلفاء يجمعون مؤهلات وقدرات إقامة الدين وصلاح الدنيا.

فكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم هم أهل العلم والهداية الدينية التي تحقق إقامة الدين، كما منحهم الله تعالى من القوة والأمانة في شئون الدنيا ما أهلهم لصلاح الدنيا، ولكن اجتماع مؤهلات قيادة إقامة الدين وصلاح الدنيا تعذر فيمن بعدهم، وفي عصرنا هو أشد تعذرا، وذلك لأسباب كثيرة.

فتفاوت القدرات كبير جدا بين السلف والخلف، وإذا عجز علماء الخلف عن جمع النبوغ في فروع علوم الشريعة والتي كان المتقدمون فضلاً عن السلف موسوعيين في علوم الشريعة، فأصبح الحال صعوبة أن يبلغ العالم في عصرنا درجة الاجتهاد في فرع واحد من فروع الشريعة فكيف يبلغها في كافة الفروع؟ فهذا بعيد جدًّا، فكيف يجمع بين ذلك وبين القدرات الأخرى المؤهلة لقيام الدين؟.

إذا تبين ذلك اتضح بجلاء استحالة أن يجتمع لأحد مؤهلات إقامة الدين مع مؤهلات صلاح الدنيا، خاصة بعد أن تعمقت مصالح الدنيا وتعقدت سياساتها، مما يحتاج إلى خبرات

عظيمة ، لا يمكن أن يستجمعها من توجهت جهوده لتحصيل مؤهلات إقامة الدين من تحصيل العلم الشرعي والقيام بالدعوة والتربية الإسلامية .

ولذا فقد انفصل العمل على إقامة الدين عن العمل على صلاح الدنيا ، فلكل قياداته وخبراته وكوادره .

وعلى هذا فرؤية الدولة الإسلامية المعاصرة في تصوري تتمثل في تحقيق جانبين :

الأول : إقامة الدين : وذلك بتحقيق الإيمان الحقيقي بالله تعالى للأفراد والمجتمع ، فتتضح تصورات الإيمان الصحيحة ، وتتحقق التصديقات اليقينية ، وتبنى القلوب على العلاقة بالله تعالى عبودية وتألها معرفة وشعورا وإرادة ، وأداء العبادات لله تعالى تقربا ومحبة من الصلاة والذكر والصوم والحج ، وتجنب سبل الفسوق والعصيان ، والبعد عن صور الفحشاء والمنكر ، وإقامة قيم الأخلاق والسلوك الإسلامي ، وتسود صور الحب والخير ، ونشر ألوان البر والتقوى .

وفي إقامة الدين قيام حقيقة الإنسانية المكرمة ، وتحقيق

سعادة الروح وانشراح الصدر، ونيل أسباب الرقي في علاقة الناس، والأخذ بأسباب السعادة في الآخرة.

وليس في إقامة الدين كما يريد أن يسول الشيطان لأوليائه الشقاء والعناء، ظنا أن السعادة في عنان الشهوات المحرمة وصور الفسوق المنكرة، وهذا كله لا يعود على الناس إلا بالضنك والشقاء.

والغرب المادي خير شاهد على ما أدى به ترك الدين من الأمراض النفسية، ونسب الانتحار الكبيرة، ومظاهر البهيمية التي تأباها كرامة الإنسان السوي.

فالدين ليس عنتا بالناس، أو إرهاقهم العسر من أمورهم، بل الدين رحمة اللّٰه بعباده، وسعادة الدنيا قبل الآخرة، ونور الكرامة في ظلام تخبط التصورات والسلوكيات، فهو نعمة اللّٰه العظمى على خلقه.

الثاني: صلاح الدنيا: فالإسلام يريد صلاح الدنيا مع صلاح الدين، ويخطأ من يظن: أن الإسلام يهمل صلاح الدنيا، أو يقصر فيه.

بل يبغي الإسلام أن يتحقق صلاح الدنيا على أوفى صوره ، وقد جعل القرآن الكريم صلاح الدنيا في الأصل لأهل الإسلام ، وهذا يحثهم أن ينالوا منها بما لا يسبقهم أحد ، قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

فقوله : ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ تعبير يوحي بما يسميه الأصوليون بالمصالح التحسينية ، وهذا لا يكون إلا بعد تحقيق الضرورات والحاجيات ، وهذه الأمور لم تخصص الآية لها مجالا ، بل هي في جميع المجالات . وقوله : ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ ، تفيد العموم لأن « ال » للاستغراق .

وقوله : ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ، يفيد أن المؤمنين أحق الناس بصلاح الدنيا و طيباتها ، وفيه توجيه لسعي المؤمنين أن لا يسبقهم غيرهم في صلاح الدنيا والتمكن من خيراتها .

وقوله : ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ ، يفيد أن الصلاح والخير

والطيبات والمتع في الآخرة خاص بأهل الجنة، مما يدل على منافسة غيرهم عليها في الدنيا.

يقول الإمام ابن كثير: في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ :

«أي هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبده في الحياة الدنيا، وإن شركهم فيها الكفار حسا في الدنيا، فهي لهم خاصة يوم القيامة، لا يشركهم فيها أحد من الكفار، فإن الجنة محرمة على الكافرين»[(١)].

وقد جاء الأمر المفيد للوجوب صراحة بالإعداد لبلوغ القوة في جميع مناحي الدنيا، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿مِّن قُوَّةٍ﴾، إفادة واضحة للعموم بالنكرة المسبوقة بمن.

فالمسلمون مأمورون بالتأهل للقوة: سياسيا، واقتصاديا،

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٨).

واجتماعيا، وعلميا، وتقنية، وعسكريا، وفي كل مجال من مجالات الدنيا.

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره:

«أي ﴿وَأَعِدُّوا﴾ لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم، ﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة، ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة، والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون، ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلم الرمي، والشجاعة والتدبير».[1]

فالإسلام هو المنهج الوحيد الذي يجمع بين صلاح الدين والدنيا على أوفى مستوى.

فالغرب سعى في صلاح دنياه وإفساد دينه، فنال نجاحا في

---

(١) تفسير السعدي (٣٢٤).

بعض مجالات الدنيا ، وظفر ببعض مظاهر التقدم المادي ، ولكنه صلاح للبدن على حساب الروح ، وقوة للمادة على حساب القيم ، وإطلاق للشهوات الهابطة على حساب مبادئ الإيمان .

والإسلام وهو يقيم الدين من : الإيمان ، وصلاح الروح ، وانشراح الصدر ، وقيم الأخلاق ، يوجه لمجتمع على أوفى مستويات صلاح الدنيا في جميع المجالات .

وإذا كانت إقامة الدين منوطة بالعلماء والدعاة ممن يحمل مؤهلات ذلك ، فصلاح الدنيا منوطة بأهل القدرة والقوة في ذلك ، فلكل مجال مؤهلاته التي يحصلها كفاءات يبذلون أعمارهم وجهودهم في تحصيلها ، وتصهرهم خبرات طويلة ؛ لتكوين ملكات تجعلهم أهل الشأن فيها .

والإسلام من منهجه أن يوسد أمور الدنيا لأهلها ، فذكر القرآن الكريم تلك القاعدة ، كما في قوله تعالى على لسان نبي الله يوسف عليه السلام : ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [سورة يوسف : ٥٥] .

فجعل مؤهله للقيام بمهمة صلاح اقتصاد البلاد ومواجهة

مشكلة الجفاف قدرته على الحفظ ، وهو القدرة على توجيه السياسة المالية ، فينظم الموارد بما تعالج سنوات الجفاف ، وهو على علم في هذا العمل وكيفية تحقيقه ، ولم يجعل مؤهله أنه رجل دين .

وبهذا ذكر أهل التفسير ، قال الإمام البغوي :

« ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ أي : حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها . وقيل : حفيظ عليم : كاتب حاسب . وقيل : حفيظ لما استودعتني ، عليم بما وليتني . وقيل : حفيظ للحساب عليم بالألسن ، أعلم لغة كل من يأتيني . وقال الكلبي : حفيظ بتقديره في السنين الخصبة في الأرض الجدبة ، عليم بوقت الجوع حين يقع »[1] .

ويقول الحافظ ابن كثير :

« وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه ، ولما في ذلك من المصالح للناس »[2] .

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٢٥١) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٥) .

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي :

« ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ أي : حفيظ للذي أتولاه ، فلا يضيع منه شيء في غير محله ، وضابط للداخل والخارج ، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات »(١) .

وحين طلبت المرأة من أبيها استئجار نبي اللّه موسى عليه السلام في رعي الغنم ، كما قال اللّه تعالى : ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص : ٢٦] .

فذكرت الآية مؤهلات العمل الدنيوي ، ويتمثل في القوة والأمانة ، ولم تذكر مؤهلات العلم الشرعي والعمل الدعوي .

قال الإمام البغوي :

« ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ يعني : خير من استعملت من قوي على العمل وأدى الأمانة »(٢) .

---

(١) تفسير السعدي (٤٠٠) .

(٢) تفسير البغوي (٦/٢٠٢) .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي :

« ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ أي : إن موسى أولى من استؤجر ، فإنه جمع القوة والأمانة ، وخير أجير استؤجر من جمعهما ، أي : القوة والقدرة على ما استؤجر عليه ، والأمانة فيه بعدم الخيانة ، وهذان الوصفان ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملا بإجارة أو غيرها »(١) .

ويقول شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية :

« وينبغي أن يعرف الأصلح في كل منصب فإن الولاية لها ركنان : القوة والأمانة ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ ، وقال صاحب مصر ليوسف عليه السلام ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ .

والقوة في كل ولاية بحسبها ؛ فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب ، وإلى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها ؛ فإن الحرب خدعة ، وإلى القدرة على أنواع القتال : من رمي وطعن

---

(١) تفسير السعدي (٦١٤) .

وضرب وركوب وكر وفر ونحو ذلك »[1] .

فهذه قاعدة الإسلام أن يوكل كل أمر بأهله .

وكانت هذه القاعدة واضحة التطبيق في سيرة النبي ﷺ ، فيسند الأمر لمن هو أهله ، حتى استعان في تخفية الطريق والسير من مكة إلى المدينة في رحلة الهجرة بخريت مشرك وهو عبد اللّٰه بن أريقط ؛ لأن هذا الرجل كان مؤهلا لتلك المهمة ، رغم خطورة هذه الرحلة في حياة النبي ﷺ ودعوته .

ولما سأله أبو ذر الغفاري رضي اللّٰه عنه أن يؤمره على ولاية ، ومع عظيم ديانة هذا الصحابي ومؤهلاته الشرعية ، فقد قال له النبي ﷺ كما في الحديث : عن أبي ذر رضي اللّٰه عنه قال : قلت : يا رسول اللّٰه ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : « يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها »[2] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٥٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٥٧، رقم ١٨٢٥) ، (أحمد ٥/١٧٣) .

وكان النبي ﷺ يسند كل أمر لأهل الشأن به، فولى خالد بن الوليد رضي اللَّه عنه بعد شهور من إسلامه على جيش المسلمين في غزوة مؤته، ولم تكن مؤهلاته من ناحية الديانة وإنما لقدراته العسكرية الكبيرة.

فهذا منهج الإسلام في صلاح الدنيا، أن توكل الأمور على أساس مؤهلات القوة في هذا المجال.

وقد سئل الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى: عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف مع أيهما يغزى؟ فقال: أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين فيغزى مع القوي الفاجر(١).

وكما جعل الإسلام ولايات أمور الدنيا لأهل الشأن في ذلك، فجعل وسائل صلاح شئونها منوطًا بقدرات الناس وما يلائم مصالحهم، دون أن يقيدها بوسائل معينة.

وكان قاعدة الإسلام في ذلك حديث النبي ﷺ: «أنتم

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٥٥).

أعلم بأمر دنياكم»[1].

فكل أسباب في السياسة أو الاقتصاد أو الإدارة وغيرها، تتحقق بها مصالح البلاد وقوتها ونهضتها وتقدمها، يحث الإسلام على انتهاجه، بشرط أن لا تخالف قواعد الشرع ومقاصده، ولا تعارض نصوصه وأحكامه.

فمنهج الإسلام في هذه النظم يقوم على الجمع بين الثوابت والمتغيرات، ثوابت في الأهداف والمبادئ والقواعد والضوابط، ومتغيرات في الوسائل والأسباب والكيفيات.

وعلى الجمع بين الربانية والعطاء البشري، ربانية في ربطه بين نظم الدنيا ومرضاة اللّه تعالى ونيل سعادة الآخرة وفي قواعده العامة وفي ضوابطه حيث الحدود الشرعية فلا تخالف، وبين الجهد البشري في استخلاف المؤمنين في أسباب العلم والقوة والصلاح.

والإسلام لا يمنع الاستعانة بكل ما يحقق الصلاح سواء كان

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٣٦، رقم ٢٣٦٣)، وأحمد (٦/١٢٣) عن أنس وعائشة رضي الله عنهما.

نتاجه شرقيا أو غربيا ، فالحكمة ضالة المؤمن ، فإذا وجدها فهو أولى الناس بها .

وكثيرا ما وجدنا في سيرة النبي صلى اللّه عليه استفادته وسائل من نتاج غير المسلمين في تحقيق مصالح المسلمين وقوتهم .

ففي غزوة الأحزاب أخذ النبي ﷺ بفكرة حفر الخندق ، وهي خطة فارسية لم يعرفها العرب قبل ذلك .

ومما استفاده النبي ﷺ ما جاء في حديث جذامة بنت وهب الأسدية رضي اللّه عنها أنها سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم »(١)

والغيلة : مجامعة الرجل زوجته وهى مرضع ، فهي مسألة طبية ، استفاد النبي ﷺ فيها من أمر الروم وفارس .

فما يدعيه بعض من يثير شبهات تضاد الإسلام ، سواء عن جهل من بعضهم بحقيقة الإسلام ، وعن سوء نية من آخرين ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٦/٢ رقم ١٤٤٢) ، والترمذي (٤٠٦/٤ رقم ٢٠٧٧) ، والنسائى (١٠٦/٦ رقم ٣٣٢٦) .

بأن الإسلام ينافي التقدم المادي والتطور التكنولوجي ووسائل النهضة العلمية ، وأن هذا حكرٌ على الفكر الغربي الذي يجب أن نكون في ركابه ، معادين التنادي بمنهج الإسلام ، حتى نقيل البلاد من عثرات التخلف المادي ، ونصعد نحو النهضة العلمية والاقتصادية والسياسية .

فهذا محض ضلال ، فأسباب التقدم في مجالات الدنيا هي بضاعة المسلمين حققوا بها حضارة عظيمة على مدى قرون من الزمن ، وعنهم أخذها الغرب فنهضوا بها من تخلف عميق في القرون الوسطى ، ثم جدوا واجتهدوا في تطويرها ، حتى فتح اللَّه عليهم من أبواب الرخاء والنهضة .

والحق أن هذه الأسباب ليست حكرا على أمة دون أخرى ، أو بلد دون آخر ، فهي سنن في خلق اللَّه تعالى مهيئة لكل من يستفتح أبوابها ويأخذ بأعنتها .

والمسلمون أحق بها وأهلها ، يسعون في تخطي أعدائهم في أسباب القوة ووسائل النهضة ومظاهر النبوغ ، وهم يجمعون معها الإيمان والتقوى ، وهذه خالصة لهم من دون الأمم ،

فيحوزون وحدهم بصلاح الدين والدنيا ، ونعيم البدن والروح ، وسعادة الدنيا والآخرة .

ولهذا كان حسد الكافرين بالمؤمنين عظيما ملأ نفوسهم ، كما قال اللّه تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [سورة البقرة : ١١٩] .

وإذ تبين منهج الحكم الإسلامي في إقامة الدين وصلاح الدنيا ، وتميز كل منهما بقياداته وكوادره ، فالصلة بينهما كبيرة ، فقيادة الحكم في صلاح الدنيا منوط بها - بما تملكه من أدوات الحكم ومناحي القوة - أن تهيئ سبل إقامة الدين ، وتقوم على توافر أسبابه ، كما أن سياسة الدنيا بصلاحها تكون في إطار قواعد الشريعة ومقاصدها ، ومشروطة بعدم مخالفة نصوصها وأحكامها .

وقيادة إقامة الدين من العلماء والدعاة منوط بهم النصيحة لأولي الأمر فيما يعينهم على مسئوليات الولاية ، والنصيحة أمر جامع لحقوق ولي الأمر ، وفي الحديث عن تميم الداري ، أن

رسول الله ﷺ قال: « إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولنبيه، ولأئمة المؤمنين وعامتهم »[1].

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح الإمام مسلم:

« وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم »[2].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على صحيح الإمام البخاري: « النصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حملوا القيام، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن »[3].

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٧٤، رقم ٥٥) وأبو داود (٤/ ٢٨٦، رقم ٤٩٤٤)، والنسائى (٧/ ١٥٦، رقم ٤١٩٧) وأحمد (٤/١٠٢).

(٢) شرح مسلم (١/١٣٨).

(٣) فتح الباري (٢/٣٨).

فبتعاضد مسئولية الحاكم في سياسة الدنيا ، ومسئولية العلماء في إقامة الدين ، يقوم منهج الإسلام في سعادة الخلق في الدنيا والآخرة .

رابعًا : الموقف من العمل السياسي :

تبين جانبًا العمل في دولة الإسلام من إقامة الدين وصلاح الدنيا ، وعلمنا أنه في عصرنا تتوزع المسئوليات .

فيناط إقامة الدين بالعلماء والدعاة ، ويناط صلاح الدنيا بأهل القوة في هذا الشأن ، فيختص كل من الفريقين بنصرة الإسلام في مجاله .

هذا هو التصور الإسلامي للعمل في دولة الإسلام ، ويبقى تحقيق مناطه من خلال البصيرة بفقه الواقع ، وملابسات المجتمع المراد إنزال التصور الإسلامي على واقعه .

وبعد ثورة ٢٥ يناير أصبحت المرجعية التي يعتمدها الجيش ، حاكم البلاد بعد الثورة هي اختيار الناس في نظام الحكم ، سواء بانتخاب برلمان أو رئيس أو إعداد دستور للحكم .

وهذه الآلية لا تعتمد الشريعة الإسلامية التي تضع قواعد

وشروطا عامة لنظام الحكم ، دون منع اتخاذ الوسائل المختلفة في تحقيق أهدافه ومقاصده .

فآلية الانتخاب المستمدة في الأساس من نظم الديمقراطية الغربية ، لا تعارض الإسلام في الوسائل ، وإنما في الغايات ، ففي الإسلام يجب أن يكون غاية الحكم إقامة الدين وصلاح الدنيا ، وغاية الديمقراطية تحقيق رأي أغلبية الشعب .

وهنا وفي المجتمع المصري يحدث التلاقي بين غاية الإسلام وبين الآلية الديمقراطية ، وهو أن رأي أغلبية الشعب تحقيق مراد الشريعة الإسلامية .

فيكون الواجب ، وهو عمل المستطاع ، توظيف آلية الانتخاب في أن يكون الحكم لمن يقيم هدف الشرع من صلاح الدنيا ، بما يخضع لقواعد الشرع العامة ومقاصده الكلية ، وعدم مخالفة أحكام الشريعة ونصوصها ، ويقيم الأسباب لتهيئة الوسائل لإقامة الدين وحراسته[1] .

---

(١) يمكن أن يتحقق ذلك بأن يبحث التيار الإسلامي عن مجموعة من القدرات والكفاءات السياسية المؤهلة لحكم البلاد بما يحقق صلاح =

بهذا تتضح تصور للمرحلة بعد الثورة ، سواء من حيث الهدف المبتغى أو وسيلة تحقيقه ، أو ما يجب مواجهته من أن تكون سياسة الحكم لمن يضعف أسباب إقامة الدين ، أو يعارضها .

أما دخول العلماء والدعاة معترك العمل السياسي ، والسعي لنيل المناصب السياسية ، فأرى في هذا خطأ .

فذلك يخرجهم عن المهم الكبير في إقامة الدين ، وهذا لا يتوافر له ما يكفي القليل من متطلباته .

= الدنيا ، في إطار مرجعية الإسلام وإقامة الدين ، فإن لم يوجد من يتوافر فيه ذلك فالأقرب إلى تحقيقه و إلا فالأبعد من حدوث مفاسد شرعية ، ويتم تحالف بين هذه الكفاءات وبين التيار الإسلامي بحيث يكون للتيار الإسلامي القيام بحشد المسلمين وتوجيههم لاختيارهم ، سواء كان التحالف في إطار حزبي أو غيره ، وليعلم التيار الإسلامي أنه يملك رأي أغلبية الشعب بحمد الله وأنه يستطيع عند توافقه أن يوصل إلى الحكم من يشاء من أفراد أو قوى سياسية ، فلا يجوز التهاون في ذلك حتى لا تؤول الأمور إلى المعادين لمقاصد الشرع وأحكامه .

فنظام مبارك أرتع الناس في بحور من الضلال والتيه في التصورات والاعتقادات ، وغمسهم في هوة بعيدة من البعد عن القيم والأخلاق وسلوكيات الإسلام ، وهجر الكثير تعاليم الإسلام وشرائعه .

كل هذا يستلزم أن تستنفر جهود العلماء والدعاة لبناء المجتمع الإيماني على شرع اللّٰه ورسوله .

ثم إن توجه العمل الإسلامي نحو طريق السياسة إقحام لأهله في مجالات لا يحملون مؤهلات إصلاحها من القدرات والخبرات ، فيؤدي إلى الضعف في صلاح الدنيا ، ويؤول إلى ضعف المسلمين ، وهذا ينافي مقاصد الحكم الإسلامي ، وهذا بذاته عقبات ضد إقامة الدين .

خامسًا : الخطاب الإسلامي بين المرجعية والحكمة :

بعد سقوط نظام مبارك تبين بجلاء أن مرجعية الإسلام هي مظلة الشعب المصري ، فهو شعب مسلم ، محب لدينه ، حريص على أحكامه ، ومهما حاولت التيارات المعادية للإسلام من إقصائه عن حياة الناس فمآلهم الفشل ، فذاك ما ينافي طبيعة الشعب المصري .

ولهذا أصبح التيار الإسلامي صاحب الصوت المسموع بعد سقوط مبارك ، وكان الحديث عن الإسلام من أهله أو من القوى المناوئة واسعا وكثيرا .

وقد لوحظ أن الخطاب الإسلامي يميل في بعض متبنيه بالانحراف عن المرجعية ، وفي بعضهم بالانحراف عن الحكمة ، فكان في هذا أخطاء تظهر على بعض الألسن ، تحتاج إلى توضيح وتصويب .

فبعضهم يحاول من منطلق الحكمة عدم إشاعة الخوف من الحكم الإسلامي ، وجمع الناس إلى الإسلاميين دون تنفيرهم .

وفي شيء من هذه المحاولات كان بعض الانحراف عن المرجعية ، حتى يحاول بعضهم التهرب من المرجعية الإسلامية ، وكأنها تهمة يجب إخفاؤها .

كما يصدر من الكلام ما قد ينافي المرجعية في بعض مسائل الولاء والبراء ونحوها .

وفي الطرف الآخر يتكلم آخرون من منطلق المرجعية الإسلامية ، متغافلا منهج الحكمة .

فقد يتكلم بأمور يجوز تأخير بيانها ، أو لا يراعي فقه الواقع في حديثه ، أو لا يحكم قياس المصالح والمفاسد فيما يتكلم به .

والخطاب الإسلامي في هذه المرحلة ينبغي أن يكون محكما قدر الاستطاعة ، ومحاولا التوفيق في الجمع بين المرجعية والحكمة .

فالمرجعية الإسلامية هي عزنا وفخرنا ، فالإسلام دين اللَّه تعالى الذي رضيه لعباده وأتم به النعمة ، وكما قال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه : كنا أذل قوم فأعزنا اللَّه بالإسلام فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا اللَّه .

فلا بد أن تكون مرجعيتنا للإسلام واضحة جلية ، وهذا يلزمنا تجنب مخالفة شريعة الإسلام أو الرضى بما يعارضها .

فمن أراد أن ينتسب للعمل الإسلامي أو الدعوة الإسلامية فليحذر أن يلبس الحق بالباطل ، أو يداهن في دين اللَّه سبحانه ، قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [سورة الأحزاب : ٣٩] .

ومن خلال مرجعية الإسلام يكون منهج الحكمة في فقه الواقع.

وحكمة الإسلام تشتمل الكثير من القواعد، تجمعها القاعدة الكلية في قياس المصالح والمفاسد، وتحمل المفسدة الأدنى أو دفع المصلحة الأدنى لتحقيق المصلحة الأعلى أو دفع المفسدة الأعلى.

وقد صاغ شيخ الإسلام ابن تيمية هذه القاعدة فقال:

«إن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنها ترجح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما»[١].

وفي ظل هذه القاعدة الكبرى للحكمة الإسلامية، تأتي قواعد كثيرة:

* فمنها ليس كل ما يعرف من الحق يقال.

* ومنها: خاطبوا الناس على قدر عقولهم.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٠/٤٨).

* ومنها : العبرة بالمقاصد والمعاني وليس بالألفاظ والمباني .
* ومنها : التعاون على الحق ولو مع غير المسلم .

وغيرها كثير نجده قواعد عمل بها النبي ﷺ في سيرته المباركة .

والحركة الإسلامية يجب أن تتعلم الحكمة النبوية وهي تتعامل مع الواقع ، لكي تحقق مصالح الإسلام والمسلمين .

ومن الحكمة المهمة تقدير لغة الخطاب ، فليس الخطاب الإعلامي كالخطاب العلمي الشرعي ، فلكل مجال لغته ، بل لكل علم شرعي ما يميز لغته ، فلغة الفقهاء غير لغة المحدثين غير لغة علماء العقيدة ، وهكذا ، ومخاطبة طلبة العلم ليست كمخاطبة أهل السياسة ، وليست كمخاطبة العوام .

يقول شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية :

« مخاطبة أهل اصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة »[1] .

وقد قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [سورة إبراهيم : ٤] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٠٦/٣) .

وقال علي - رضي اللَّه عنه - : « حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون ؛ أتحبون أن يكذب اللَّه ورسوله » ، وقال ابن مسعود رضي اللَّه عنه « ما من رجل يحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم »[1] .

فيلزم من يتصدى للعمل الإسلامي أن يجيد لغة الخطاب الإعلامي ومصطلحاته وأساليبه ، حتى لا يكون خطابه فوق فهم الناس فيثير الفتن ويبوء بالمفاسد من حيث أراد الإصلاح .

والخطاب الإعلامي الإسلامي له أهمية كبيرة ، والتصدي له عن فقه وبصيرة ذو أثر هام ، فإن أحسن التيار الإسلامي توجيه إعلام حكيم متزن كان ذلك بالغا في تحقيق مصالح الإسلام والمسلمين ، والعودة بالخير والصلاح على البلاد والعباد .

واللَّه وحده هو الهادي والموفق إلى سواء السبيل ، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

كتبه : محمود محمد الدهشان

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣١١) .

الفهـرس

الموضـوع **الصفحـة**

مقدمة ٣

الفصل الأول : التفسير الإيماني ٧

أولا : ضرورة هداية الإيمان في تفسير ضخامة الحدث ٨

ثانيا : بإرادة اللّٰه تعالى تحققت الثورة ١١

ثالثا : إرادة اللّٰه كانت فوق قوى نظام مبارك ١٦

رابعا : أراد اللّٰه الثورة فهيأ أسبابها ٢٣

خامسا : منهج شكر يكافئ نعمة اللّٰه على البلاد ٣١

الفصل الثاني : عظات وعبر إن اللّٰه ليملي للظالم
فإذا أخذه لم يفلته ٤٢

وتنزع الملك ممن تشاء ٤٥

فأتاهم اللّٰه من حيث لم يحتسبوا ٤٧

بسلاح الظالم تزول قوته ٤٩

يظن الخلود وحتفه أمامه ٥١

قد ينصر اللّٰه الحق بعيدا عن حساب أهل الحق ٥٤

الفصل الثالث : منهج العمل الإسلامي ٥٧

الموضوع	الصفحة

أولا : الثورة نصرة للإسلاميين في تغيير نظام مبارك ٥٧

ثانيا : الموقف من مناهج التغيير ٥٩

ثالثا : منهج الحكم في الإسلام ٦٣

رابعا : الموقف من العمل السياسي ٨٢

خامسا : الخطاب الإسلامي بين المرجعية والحكمة ٨٥

خاتمة ٩٠

الفهرس ٩١

* * *